أزول عن حكمك ؛ ولا تتأ عنى ، فقـال له : أنا الرجل
الوب بالفسطاط وقد خلّفت شملا جمّا ، ونعمة واسعة . إنما
ل بى الخوف على نفسى . فقال له : ياسيدي فالمال فى يدك وما
ـك من الدواب فأنت أعرف به منى فاحتكم فيه ، فأخذ بغالا
ا صالح لمثله ، وخرج النصرانى معه . وقدم كتاباً إلى عامل
ونة من مستقره ، فتلقاه عامل المعونة فى بعض طريقه ، ووصاه
يع العمال بالنصرانى ، وصار إلى الحضرة فأصدر اليهم الكتب
الوصاة به إلى أن قدم بعض العمال المتجرة فتتبع النصراني ورام
ادة عليه فخرج إلى بغداد

« قال لى هرون إن ياسين قال له : إن النصرانى حدثه أنه
ل إلى بغـداد فلم ير بها أدنى محلا ، وأكثر قاصداً منه ، ثم
تأذنت عليه وعنده جمع كثير فخرج أكثر غلمانه حتى استقبلونى
رآنى قام على رجليه ثم قال : مرحباً يا أستاذى وكافلي والقائم
حين قعد الناس عنى . وأجلسنى معه وانكب على ولده وشمله ،
ا أتأمل مواقع الاحسان من الأحرار ، وسألنى عن حالى في
عى فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه فى مجلسه فنظر إليه من
نا عنده ، وقال له : كنت السبب فى تقليد أخيك فصار أكبر
ب فى مساءتى ، فكتب من مجلسه كتاباً إليه بجلية الخبر وأنفذه .
ت عنده حولا فى أرغد عيشة وأعظم ترفه . وورد على كتب
ابى نخبرونى بانصراف العامل عن جميع ما كان اعترض عليه
أمرى . وأخرج أمر السلطان في إسقاط أكثر خراج
عى والاقتصار بى على يسير من مالها . قال ياسين فكتب
سرانى ببغداد حجة أشهد فيها على نفسى أن أسلمه فى جميع
ياع التي فى يده (وسماها وحددها) لهـذا الرجل الذي كان
ب ، وصار بها إليه ، فقال له : قد سوغك الله هذه الضياع ،
أراك أحق بها من سائر الناس ، فامتنع الرجل من ذلك وقال
عليك فيها عادات تحسن ذكرك ، وترد الأضغان عنك ،
ت أقطعها بقبض هذه الضياع عنك . ورجع النصراني إلى
سطاط لجدد الشهادة له فيها . فلما توفى النصرانى أقرها فى يد
به ، ولم يزالوا معه بأفضل حال »

محمد كرد على

ظاهرة هامـــة

للأستاذ عبد المغنى على حسين

يروى كثير من الناس عن بعض الذين ماتوا من أقربائهم أو أصدقائهم ، أن هؤلاء ، عند ماحضرهم الموت كانوا يهتفون بأسماء بعض الذين سبقوهم إلى الدار الآخرة . ويروى الراوون أن المحتضر كان يتحدث إلى (الموتى) كما لو كانوا منه على مرآى وعلى مقربة . أما قول الناس فى تعليل ذلك فهو أنه هذيان نتيجة اختلال الشعور . وبعض الناس يسلم بالعجز عن تعليل هذا الأمر . والجميع يعرفون بالتجربة أن المريض إذا (نادى على الأموات) على حد قولهم ، فقد تحقق دنو أجله ، ولم يعد ثم أمل فى تماثله .

هذه الظاهرة معروفة مشهورة فى بيئتنا المصرية ، ولا أحسب القارئ الكريم إلا قد سمع بها ، إن لم يكن شهدها بنفسه . ولكن أرجو ألا يحسبها قاصرة على البيئة المصرية ، أو على أية بيئة معينة ، فالواقع أنها شائعة فى العالم أجمع ، ومعروفة بين بنى البشر على اختلاف جنسياتهم وألوانهم ومدنياتهم ودياناتهم . وهى ، بالنظر لشيوعها هذا ، خليقة أن تسترعى اهتمام الباحث المفكر ، سيما وأنها تتصل بذلك السر الأعظم : الموت . هـذه الظاهرة قد استرعت فعلا اهتمام من اشتغلوا بالبحوث الروحية ، وهى عندهم عظيمة الدلالة والخطر .

أمامى الآن كتاب أخرج فى عام ١٩٢٥ ، لأحد كبار الباحثين الروحيين من الانجليز ، هو سر وليم باربت ، عضو الجمعية الملكية البريطانية (T.R.S) ، وفى هذا الكتاب دراسة مستفيضة لتلك الظاهرة الشائعة ، ومن يتصفحه ير كيف يمكن أن يصل الباحث إلى نتائج خطيرة من ظواهر مشتتة لا تحمل فى ظاهرها دلالة ولا قيمة علمية . عمد الباحث المذكور إلى دراسة هذه الظاهرة دراسة استقرائية على طريقة العلم الحديث التي بلغت به مابلغ . تلك الطريقة القائمة أولا على شهود أكبر عدد ممكن من الظواهر ، ثم وصف تلك الظواهر بدقة وتفصيل وصدق ، ثم المقارنة بينها وملاحظة ما فيها من عناصر مشتركة ، ثم استنتاج ما يمكن استنتاجه . ويأتى بعد ذلك استنباط التجارب

للوقوف على مبلغ صحة هذا الاستنتاج .

لجأ سر وليم باريت إلى أصدقائه من أطباء ومديري المستشفيات الكبيرة في مدينة لندن ، طالباً تمكينه من زيارة من يحضره الوفاة من المرضى كلما سمحت الظروف وسمح ذوو المريض . فحضر بنفسه عدداً كبيراً من الحالات ، ودون ما شاهده وسمعه ، وكانت تعاونه في هذا العمل زوجته « ليدى باريت » . وكتب أيضاً إلى أصدقائه من أطباء المستشفيات في عدد كبير من مدن العالم راجياً موافاته بوصف ما قد يعرض لهم من هذا الأمر . وبذا تم له جمع عدد كبير من تلك الحالات ، رتبها وبوبها ، وقدمها لجمعية البحوث الروحية بلندن Society of Psychical Research ثم أذاعها على ملأ القارئين في هذا الكتاب

في الكتاب وصف دقيق لكل حالة ، وبه الأسماء والأمكنة مذكورة ، وكذا الزمن باليوم والساعة والدقيقة . أما المحتضر فقد يكون رجلا أو امرأة ، شيخاً أو شاباً أو طفلا ، وقد يكون انجليزياً أو أوروبياً أو أمريكيا أو هندياً أو زنجياً ، وهو في أكثر الحالات يعاني آلاما جساما ، ووجهه متجهم ، فاذا به ينسى ألمه برهة ، ويتهلل وجهه ويقول : « ماذا أرى ؟ هذا أنت يا فلان . لقد جئت لتستصحبني . . . » أو نحو ذلك من الكلام

ولكن لو اقتصر الأمر على مثل هذا لما كان له كبير وزن من الوجهة العلمية ، إذ من الممكن القول بأن المريض وقد برحت به العلة ، وتسممت أعصابه ، واضطربت دورة الدم في مخه ، قد اختلط عقله ولم يعد يفرق بين الحقيقة والخيال ، وصار سواء عنده الشعور الذي يصل الى مخه بالطريق المعتاد من الخارج والشعور الذي ينبعث من عقله الباطن ، فالذكريات القديمة تتمثل له في شكل حقائق راهنة مصطبغة بالمشاعر المستولية عليه ، فهو من هذه الوجهة كالنائم إذ يحلم بالفكرة كأنها شيء محسوس . ولكن الكتاب لا يحوي هذا الضرب من الحالات فقط ، بل به مجموعة أخرى هي بيت القصيد ، وهي النقطة الدقيقة حقاً التي عندها يرغم الانسان على التفكير الجدي في أن كلام المحتضر لا يمكن أن يكون محض هذيان .

في الكتاب حالات هتف فيها المحتضر باسم شخص مات ولم يكن المحتضر يعرف أن ذلك الشخص قد مات ، فكان يبدو عليه التعجب لوجود ذلك الشخص بين (الأموات) مع أنه — في زعمه — بين الأحياء . يكون المحتضر مثلا قد دخل مستشفى منذ شهر أو أكثر ، وفي تلك الأثناء توفي فجأة واحد من أقربائه ، فكتم الأهل والأطباء عنه الخبر حتى لا تسوء حالته الصحية بتأثير الصدمة والحزن ، فتأتي ساعة احتضاره فاذا به يحدث بعض الذين ماتوا من قبل ، وبينا هو يحدثهم إذا به يقول مندهشاً « ما هذا ؟ أهذا أنت يا فلان ؟ ! وما الذي جاء بك مع هؤلاء ، وكان يجب أن تكون في جهة كذا الآن ؟ . . . » ثم ينظر إلى الحاضرين ويقول « لماذا لم تخبروني بأن فلاناً قد سبقني ، فهاهو ذا قد جاء ليستصحبني . . . » أو نحو ذلك من الكلام .

وإني أورد هنا حالة من تلك الحالات اخترتها لا لأنها مؤثرة بل لأن فيها جميع العناصر التي يطلبها الباحث : طفلة في الثامنة من عمرها تدعى جيني ، لها صديقة في نحو سنها تدعى أديث . مرضت جيني ونقلت إلى مستشفى ، وفي أثناء مرضها توفيت أديث فجأة ، وكتم الخبر عن جيني ، فلما جاء الموت يطلب جيني رجت الحاضرين أن يبعثوا بصورة من صورها إلى أديث كتذكار ، مما يثبت أن الخبر كتم عنها حقيقة . وبعد دقائق من رجائها هذا قالت : « انظروا ! هذه هي أديث . إنها تقول إنها ستكون معي . لماذا لم تخبروني بذلك . . . »

تدل ظواهر هذا النوع من الحالات على أن المحتضر يدرك تماماً أن في الحجرة معه طائفتين من الناس ، الطائفة المعتادة من أهل هذه الدنيا ، وطائفة أخرى من أهل العالم الذي هو قادم عليه ، والطائفة الثانية لا تقل عنده عن الأولى وضوحاً ، وليست أبعد عن حسه من الطائفة الأولى .

يقول المؤلف : « إن مثل هذه الحالات تضطر الانسان إلى التسليم بالفرض الروحي ، حتى أن البروفسور شارل ريشيه لم يجد بداً من التسليم بأن نظريته عن الحاسة السادسة لا تكفي لتعليل هذا النوع من الظواهر . . . » (١)

وفي الكتاب أبواب فيها وصف موسيقي سمعت ساعة احتضار بعض الناس دون أن يكون لها مصدر عادي معروف . وبهذه المناسبة أقول إن بعض من أصدقهم روي لي أنه حضر

(١) البروفسور شارل ريشيه أستاذ فرنسي مشهور ، من علماء الفسيولوجيا ، توفي منذ بضع سنين ، كان يشتغل بالبحوث الروحية ويفسر أكثر ظواهرها بافتراض حاسة سادسة للانسان أسماها Cryptethesia